المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى

من خلال رسالة الحسن بن أيوب -رحمه الله-

دراســـــة عقـــديـة

إعداد

أ.د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى

[من خلال رسالة الحسن بن أيوب رحمه الله]

ⓗ فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفهيد، فهد بن سليمان بن إبراهيم
المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى
من خلال رسالة الحسن بن أيوب رحمه الله : دراسة عقدية /
فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد - الرياض، ١٤٣٨هـ
(٨٠ص)؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ٦-٣٩٦٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الاسلام والنصرانية ٢- الاسلام - دفع مطاعن أ. العنوان
ديوي ٢١٤,٢٧ ١٤٣٨/٤٨٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٨٣٧
ردمك: ٦-٣٩٦٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ ــ ٢٠١٧م

للتواصل : ٠٠٩٦٦٥٠٣٤٤٠٤٣٢
Dr.Fahad2@hotmail.com

المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى من خلال رسالة الحسن بن أيوب رحمه الله

دراسة عقديَّة

إعداد

فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كليَّة أصول الدِّين بالرِّياض - جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ **أما بعد:**

فإن الله ﷻ بعث نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وأكمل له الدين وأتم عليه النعمة، وجعل دينه دين الإسلام ديناً قيماً كاملاً تاماً، وجعله ناسخاً لجميع الأديان السابقة، وعلمهم فيه أحسن العقائد والأحكام والشرائع والفضائل العلمية والعملية؛ فلا يوجد ـ بعد بعثة محمد ﷺ ـ دينٌ في الأرض يُدان لله ﷻ به، ويحبه الله ويرضى عن أهله إلا دين الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن حكمة الله سبحانه أن جعل لكل نبي عدوّاً من المجرمين قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]،

وهؤلاء الأعداء ما زالوا ينصبون سهام الباطل ويرمون بالشبهات ليصدوا عن سبيل الله، ولكن الله تعالى نصر دينه وأظهره فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ومن نصرة الله لدينه أن جعل لهذا الدين من يقوم بنصرته والذبّ عنه والدفاع عنه من العلماء الصادقين ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فصدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وإمام العلماء وقدوتهم رسول رب العالمين وإمام المتقين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم هدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، ففتح برسالته أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، ففتح القلوب بالإيمان والقرآن. وقد أيد الله تعالى رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية بما لم يبق بعده للمخالف إلا محض

العناد. وقام العلماء الراسخون الذين ساروا على نهجه بما أوجب الله عليهم من نصرة الإسلام والدفاع عنه قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن الذين نصروا الدين الإسلامي وردوا على شبه أعداء الله الكافرين المكذبين: **الحسن بن أيوب** رحمه الله، وكان من علماء النصارى فهداه الله للإسلام، ودخل في الدين عن علم ورغبة صادقة وهمة عالية وكتب كتابا بين فيه سبب دخوله في الإسلام، ورد فيه على النصارى وبين فساد معتقداتهم بالأدلة العقلية وتناقضهم وهو من أخبر الناس بهم، ومع شح المعلومات عن هذه الشخصية العلمية وفقدان النسخ الخطية للكتاب إلا أن الله تعالى سخر من يحفظ هذا الكتاب وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أورد رحمه الله معظم هذا الكتاب في رده المشهور على النصارى المعروف باسم: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ولما اطلعت على كلام الحسن بن أيوب وقرأته وجدته كلاماً قيماً مفيداً نافعاً وفيه من الحجج والبراهين ما يؤيد الله به هذا الدين ويظهر ضلال النصارى الضالين، ورأيت من المناسب إبراز ما ورد في هذا الكتاب القيّم من المسالك العقدية والحجج

والبراهين في الرد على النصارى، ليسهل على المختصين النظر في هذه المسالك والاستفادة منها، وجعلت البحث بعنوان: (**المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى من خلال رسالة الحسن بن أيوب ـ دراسة عقدية ـ**).

سائلاً الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، عائداً نفعه على عباده، كما أسأله ـ تعالى ـ أن يعيننا ويسددنا ويوفقنا وجميع إخواننا المسلمين، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا من الداعين إلى دينه على بصيرة إنه أكرم مسؤول وخير مأمول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ ـ عِظَم فائدة هذا الكتاب الذي ألفه الحسن بن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ في الدعوة إلى الإسلام والرد على النصارى وكشف أهم شبهاتهم.

٢ ـ إبراز جهود هذا الرجل الصالح الذي رد على النصارى، وبيان عقيدته، واستنباط الاحتجاجات العقدية في الرد على النصارى.

٣ ـ إبراز جهود المهتدين إلى الإسلام ممن صدق مع الله، وتمسك بدين الله، وصدع بالحق ونصره ممن

عرف عنه سلوك المسلك العلمي الصحيح في الرد والاحتجاج.

٤ ـ عدم وجود دراسة عن جهود الحسن بن أيوب تُبرز منهجه ومسالكه العقدية المميزة في رده على النصارى.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة علمية تتعلق بكتاب الحسن بن أيوب ومنهجه فيه واحتجاجاته على النصارى، والذي وجدته مما كُتب عن هذ الكتاب ما يلي:

١ ـ رسالة أكاديمية لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الحرة بمدينة أمستردام، هولندا في قسم الترجمة واللغات موضوع الرسالة: الرد على النصرانية في القرن العاشر (الميلادي) بعنوان: (رسالة أيوب بن الحسن إلى أخيه علي) إعداد الطالب الباحث: فلوريس سبماير، تحت إشراف أ.د ب. ي. د. درينت، عميد كلية العلوم الاجتماعية، ونوقشت هذه الرسالة في سنة ١٩٨٥م. وليس فيها إلا إخراج متن الكتاب معتمداً على ما في كتاب الجواب الصحيح وذلك باللغة العربية والهولندية وجاء الكتاب في الرسالة المشار إليها من ص١٢٤ إلى ص٢١٠

وقد قام بتصويره وإرساله إليّ الأخ عمر بن محمد ريزقي الهولندي والذي كلفه أخونا رشيد بن مصطفى العادل جزاهما الله عنّي خيراً.

٢ ـ كتاب بعنوان: (لماذا أسلمت؟ الحسن بن أيوب أحد كبار علماء النصارى) تحقيق وتعليق: محمود النيجيري ماجستير في مقارنة الأديان، الناشر: مكتبة النافذة الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، وبعد الاطلاع عليه لم أجد الباحث اعتنى بذكر المسالك الاحتجاجية على النصارى ولم يبين منهج الحسن بن أيوب في الردود.

٣ ـ ذكر هذه الرسالة الشيخ علي الحمد المحمد الصالحي رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الصالحي في حمى التوحيد، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار القبس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، وأورد الشيخ علي الصالحي الكتاب كاملاً نقلاً عن الجواب الصحيح لابن تيمية من ص (١١٥ ـ ١٧٠)، ووضع له مقدمة مختصرة وعلق تعليقات يسيرة على بعض المواضع، وفي آخر الكتاب يقول الصالحي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونريد من كل من يهمه الأمر من المسلمين وغيرهم أن يفيدنا عن وجود كتاب الحسن بن أيوب سواء باللغة العربية أو غيرها من

اللغات ليحوز الأجر من الله والشكر الجميل كما يهمنا وجود ترجمته بأي لغة من اللغات)، وأؤكد على كل مطلع على هذا البحث بالإفادة عن مكان وجود نسخة خطية للكتاب، والإعانة على ترجمته ونشره.

٤ ـ كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر. عبد المجيد الشرفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م، ولم يقم بدراسة عن الكتاب ولا عن المؤلف، وإنما أورد كلاماً موجزاً عن الكتاب في صفحتين (١٤٨ ـ ١٤٩).

۞ هدف البحث:

الإسهام في الرد على المحرفين للديانة النصرانية من خلال معرفة المسالك العقدية الصحيحة لإقامة الحجة على النصارى التي قررها عالم من علماءهم منّ الله عليه بالهداية للإسلام، وهو الحسن بن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وفق الآتي:

١ ـ جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من خلال كتاب الحسن بن أيوب وما يتعلق به من مسائل عقدية. معتمداً على كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة التي حققها ثلاثة من الدكاترة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وطبعت في دار العاصمة في ستة مجلدات، ويقع كتاب الحسن بن أيوب في المجلد الرابع ص (٨٨ ـ ١٨٢) ويتخللها بعض التعليقات لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

٢ ـ استنباط المسالك الاحتجاجية للرد على النصارى من خلال تقريرات الحسن بن أيوب.

٣ ـ عزو الآيات إلى سورها.

٤ ـ تخريج الأحاديث من كتب السُّنَّة النبوية، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما خرَّجته ونقلت حكم أهل العلم عليه.

٥ ـ توثيق النقول والأقوال.

---

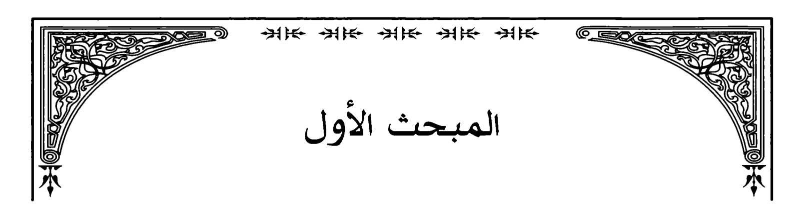
(١) وأما الطبعة القديمة لكتاب الجواب الصحيح فيقع كتاب الحسن بن أيوب في (٢/ ٣١٣) وإلى (٣/ ٤).

﴿ خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وهدف البحث، ومنهجه، وخطته.
- المبحث الأول: التعريف بالحسن بن أيوب من خلال الأخبار التي وردت عنه.
- المبحث الثاني: بيان المسالك العقدية للاحتجاج على النصارى التي سلكها الحسن بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- الخاتمة.





المبحث الأول

التعريف بالحسن بن أيوب من خلال الأخبار التي وردت عنه

في أول الكتاب يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أخبر الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر فيها سبب إسلامه ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الإسلام)(١)، وفي نهاية النقل عنه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (قلت هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم فنقله لقولهم أصح من نقل غيره، وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية وما يبطل قولهم من الحجج السمعية

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٨٨).

والعقلية ما يبين ذلك)[١].

اسمه ونسبه ومولده ووفاته:

لم أقف على شيء يدل على معرفة اسمه كاملاً سوى أنه الحسن بن أيوب، واسم أخيه علي بن أيوب، ومما يستغرب أن اسمه الحسن واسم أخيه علي وهذان الاسمان من الأسماء الإسلامية! فربما كان هذا الاسم له بعد الإسلام فحُفظ الاسم الإسلامي ونُسي أو أُهمل الاسم القديم، والله أعلم.

وأما ولادته فلم يُذكر في المصادر بعد طول بحث أي خبر عن سنة مولده، ولا عن وفاته إلا ما وجدته في كتاب الفهرست لمؤلفه محمد بن إسحاق النديم حيث يقول فيه: (ومن المعتزلة من لا نعرف من أمره غير ذكره: . . . الحسن بن أيوب من المتكلمين، وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة)[٢].

ومن خلال تحديد سنة كتابة النديم لكتابه الفهرست

---

(١) الجواب الصحيح (٨/ ١٨٢).

(٢) الفهرست، لمحمد بن إسحاق النديم (ص٢٤٦). ورجعت لطبعة الفهرست التي حققها د. أيمن فؤاد سيد (ص٦٢٤ ـ ٦٢٥) مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وهي موافقة للطبعة القديمة فيما يتعلق بهذا الموضع.

ـ والذي ذكر أنه (فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب... إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة)[١] ـ يُعلم أن الحسن بن أيوب كان قبل كتابة كتاب الفهرست للنديم وهي سنة ٣٧٧هـ.

وذكر د. عبد المجيد الشرفي في كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى: أن وفاته نحو ٣٧٨هـ ـ ٩٨٨م، ولم يذكر على أي مصدر اعتمد عليه في تحديد وفاة الحسن بن أيوب، ولعل ذلك بناءً على أنه ورد اسمه في الفهرست للنديم.

وهكذا ما ذكره الدكاترة الأفاضل الذين حققوا كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، حيث ذكروا في الحاشية على كتاب الجواب الصحيح[٢]، أن ذكر النديم لكتاب الحسن بن أيوب في الفهرست جعلهم يجزمون بأن الحسن بن أيوب عاش قبل تأليف كتاب الفهرست للنديم الذي توفي حوالي ٣٧٧هـ!

وفي تحديد وفاة النديم في سنة ٣٧٧هـ نظر؛ لأن

---

(١) مقدمة الفهرست، وكذا في (ص٥٨).

(٢) (٨٨/٤).

بدء تأليف الفهرست كان سنة ٣٧٧هـ وليس هذا تاريخ وفاة النديم، وإنما المعروف أن النديم توفي سنة ٣٨٥هـ أو بعدها.

فيعرف حينئذٍ أن كتاب الحسن بن أيوب قبل ذلك، ولكن مما يعكر صفو هذه المعلومة ولا يؤكد الجزم بأن وفاة الحسن بن أيوب في سنة ٣٧٨هـ: أن كتاب الفهرست ذكر فيه كتب ووفيات بعد هذا التاريخ! ومن أمثلة ذلك لما ذكر الكاغدي المعروف بالجعل وأنه توفي سنة ٣٩٩هـ[1].

فهل هي مما أُلحق بالكتاب من العلماء الذين اطلعوا عليه؟ أم أن النديم أضافها بعد ذلك؟ وعلى هذا فربما كان كتب الحسن بن أيوب متأخراً قليلاً، فالله أعلم!.

وقد يقال: ما المانع أن يكون الحسن بن أيوب كان قبل هذه الفترة بكثير! وكتب هذا الكتاب قديماً قبل هذا التاريخ بعشرات السنين! فهذا ممكن أيضاً، ومن المحتمل أن يكون بعد ذلك الكتاب مما أضيف على كتاب النديم فيكون بعد وفاته! والله أعلم بحقيقة الحال.

والخلاصة: أن تحديد سنة وفاة الحسن بن أيوب لا

---

(١) (ص٢٤٨).

يمكن الاعتماد فيه على كتاب الفهرست للنديم؛ لأن كتاب النديم ذُكر فيه أسماءُ أعيانٍ إلحاقاً بالكتاب ممن جاء بعد النديم، فلا يمكن الجزم بتاريخ محدد.

عقيدته قبل الإسلام وبعده:

مما سبق يعلم أن الحسن بن أيوب كان نصرانيّاً وهداه الله إلى الإسلام، ولكن قبل إسلامه كيف كان شأنه في النصارى! وعلى أي مذهب من مذاهب النصارى!

ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان من علماء النصارى، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، وهو في رسالته وصف نفسه علميّاً ووصف حالته الاجتماعية فقال: (فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته ولا شيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته)، وهذا لا يكون إلا من عالم متبحر في النصرانية، وقال أيضاً: (خرجت مهاجراً إلى الله عَزَّوَجَلَّ بنفسي هارباً بديني عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل) فهو إذاً في نعمة وهي رغد العيش، وهو أيضاً في أهل مستقر ومحل وعز وهذا كله يوضح مكانته الاجتماعية المرموقة التي له عند النصارى في بلده، وهكذا قوله: (متصرف في عمل) يدل على الجاه والغنى والأمر والنهي.

وأما مذهبه قبل الإسلام فيحدد بعض الباحثين أن مذهبه قبل الإسلام هو النسطورية؛ فيقول عبد المجيد الشرفي: (كان نصرانيّاً نسطوريّاً أسلم)، وقال: (ولئن لم يصرح بالفرقة التي كان ينتسب إليها قبل إسلامه، فإن مخاطبته للنساطرة دون غيرهم قد تدل على أن أخاه ما زال منهم، وأنه بالتالي كان نسطوريا...)[١]، وقد أحال د. الشرفي على قول الحسن بن أيوب مخاطباً النسطورية: (وأقبلتم على الملكانية واليعقوبية بالتكفير واللعن... ثم لم تلبثوا أن قدمتم المسيح على الله تبارك وتعالى... قال: ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم...) ولم تأت هذه الصيغة في حكايته مذهب النسطورية مما يرجح بالفعل أنه كان نسطوريّاً عارفاً بطريقتهم منكراً عليهم بشدة[٢].

وأما بعد أن مَنَّ الله عليه بالإسلام فيقول بعضهم: إنه من أهل الكلام المعتزلة، ولعل هذا بناءً على ما ورد في كتاب الفهرست للنديم فإنه قال: (ومن المعتزلة من لا

---

(١) كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (ص١٤٩).

(٢) تجدر الإشارة إلى أن الشرفي عضو مؤسس لرابطة (العقلانيين التنويريين العرب) ولديه انحرافات خطيرة.

نعرف من أمره غير ذكره: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عيّاش معتزلي، وله من الكتب كتاب نقض كتاب ابن أبي بشتر في إيضاح البرهان، الحسن بن أيوب من المتكلمين، وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة)[١].

وقول النديم بأن الحسن بن أيوب من المعتزلة ومن المتكلمين، يظهر لي أنه غير صحيح لعدة اعتبارات:

الأول: أنه يقول: (لا نعرف من أمره غير ذكره)! ومن كان بهذه المثابة فليس لديه يقين أنه يعرف عقيدته وهو لا يعرف من أمره غير ذكره.

الثاني: في كتاب الحسن بن أيوب أشار إلى إثبات جملة من الأسماء والصفات؛ فيقول في مقدمة كتابه: (الإيمان بالله الحي القيوم، السميع البصير، الواحد الفرد، الملك القدوس، الجواد العدل، إلٰه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وإلٰه موسى وعيسى وسائر النبيين والخلق أجمعين، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، الذي خلق الأشياء كلها لا من شيء ولا على مثال، بل كيف شاء

---

(١) (ص٢٤٦).

وبأن قال لها كوني فكانت على ما قدر وأراد، وهو العليم القدير، الرؤوف الرحيم، الذي لا يشبهه شيء، وهو الغالب فلا يغلب، والجواد فلا يبخل، لا يفوته مطلوب، ولا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وكل مذكور أو موهوم هو منه، وكل ذلك به، وكل له قانتون. . . فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وإياه تعالى نسأل أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب)[١].

فعقيدته مشتملة على الإيمان بالله والإيمان بالأسماء والصفات والأفعال كما في الجملة السابقة، وكذلك الإيمان بالرسول ﷺ حيث يقول: (ثم نؤمن بأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وسائر الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٨٩).

وأن الله يبعث من في القبور، وأن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين ذلك بما كسبت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد).

وقال: (وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته؛ فلا بد من أن تعترفوا ضرورة بأن كل أقنوم منها: حي سميع بصير عالم حكيم منفرد بذاته، كما يقولون في المسيح: (أنه جالس عن يمين أبيه)، فنراكم أخذتم الأقنومين اللذين أحدثتموها مع الله من جهة أن الله حكيم حي! فحكمته الكلمة، وهي: المسيح، وروحه: روح القدس!!

وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير؛ لأنه يقال: حكيم عليم سميع بصير حي قدير.

وكذلك ربنا تبارك وتعالى؛ وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته ولا تبلغ كنه مجده إلا بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه[1]، فنحلتم صفاته ـ التي هي معناه وليست

---

(١) قوله: (وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته ولا تبلغ كنه مجده إلا بالتمثيل لعظمته)؛ أي: وصفنا لربنا تعالى لا يمكن أن يدرك الكيفية ولا يبلغ حقيقة مجده، وإنما ذلك تقريب لعظمته بحسب ما يدرك العباد من المعاني، فالعباد يدركون معنى الحياة والسمع والبصر والحكمة وغيرها ويدركون الفرق بينها ولكنهم لا يبلغون حقيقة صفات الرب تعالى قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ =

سواه ـ غيره! وجعلتموه أقانيم، لكل واحد من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له! وما منها أقنوم له صفة إلا ويحتمل على قياس قولكم أن تكون صفته مثله!!

فإذا كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إلٰه، وهي من جوهره؛ فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلهاً مثله؛ إذ كان من جوهره، فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية!!)[1].

ويقول: (وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم، فعلمتم أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم؛ علمتم أن له محدثاً، فتوهمتموه شيئاً موجوداً، ثم توهمتموه حياً، ثم ناطقاً؛ لأن الشيء ينقسم لحي ولا حي، والحي ينقسم لناطق ولا ناطق، وأنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق؛ فأثبتم له حياةً ونطقاً غيرَه في الشخص! وهما هو في الجوهرية!!.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق؛ فأخبرونا عنه أتقولون: إنه قادر عزيز أم عاجز ذليل؟. فإن قلتم: لا، بل هو قادر عزيز، قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزة

= وقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

(١) (٤/ ١٦١).

كما أثبتم له حياة وحكمة! فإن قلتم: لا يلزمنا ذلك؛ لأنه قادر بنفسه عزيز بنفسه، قلنا لكم: وكذلك فقولوا إنه حي بنفسه، وناطق بنفسه، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث، أو إثبات التخميس، وإلا فما الفرق وهيهات من فرق)[١].

وهذا النص مهم إذ فيه الإقرار بصفة الكلام، وإضافتها إلى الله تعالى، وأنه قائم به، وهذا مناقض لمذهب المعتزلة. فالمعتزلة يقولون بأن القرآن لفظه ومعناه مخلوق عندهم، خلقه الله حيث شاء فلم يقم بالله عندهم! وهم مع ذلك يقولون: إنه منزل، ولكنهم لا يقولون إن الله نطق بالقرآن!.

فالمعتزلة يقولون: إذا أُسند التكليم إلى الله فهو (بمعنى خَلْقِ صوتٍ مسموعٍ لا يصدر عن شيء)[٢]!!.

يقول ابن أبي العز في شرح الطحاوية: (وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك للزم أن

---

(١) (٤/١٦٣).

(٢) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السُّنَّة منها، لعواد بن عبد الله المعتق (ص١١٦ ـ ١١٨)، وانظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص٥٢٨ ـ ٥٢٩)، وكتاب الحق الدامغ، للخليلي الإباضي المعتزلي (ص١١٣).

يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه، وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذٍ بين نطق وأنطق. وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٢١]، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً، أو كفراً، أو هذياناً، تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي: وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه.

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير؛ لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره...)[(١)].

الثالث: في خاتمة الكتاب يقول الحسن بن أيوب رحمه الله:

(ومثل اختلاف المسلمين في القدر؛ فمنهم من قال به ومنهم من دفعه، وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد على نظرائهم، بعد اتفاق جماعتهم على إلههم ومعبودهم وخالقهم، وأن الله إله الخلق كلهم واحد لا شريك له ولا ولد، ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد لا يشكون

---

(١) شرح الطحاوية (ص١٧٩).

فيه، وعلى القرآن وأنه كتاب الله المنزل على محمد المرسل لا يختلفون فيه...)، وكذلك قوله: (فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول؛ كان ما سواها خللاً لا يقع معه كفر ولا يبطل به دين، والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود!).

وهذا النقل من كلامه عن الفرق الإسلامية ومقالاتها قد يدل على عدم تحريره المسائل التي توجب الكفر وحقيقة الافتراق بين تلك الفرق، ومعلوم أن من الرافضة من قال بتأليه علي بن أبي طالب[1]، ومقالات أخرى غير هذه تعتبر عند السلف من المقالات الكفرية.

---

(١) قال ابن حزم في الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٨٦): (والقسم الثاني من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلٰهية لغير الله ﷻ فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو، فقال لهم: ومن هو؟ فقالوا: أنت الله، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار)، ويقول الإسفراييني في التبصرة في الدين (ص١٠٨): (إن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي)، وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٨٦)، وتاريخ ابن عساكر (٢٩/ ١٠)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ٤٥٩)، وكتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، للقفاري (٢٢٩/١).

وقد يقال: لعل الحسن بن أيوب قال ذلك لحداثة عهده بالإسلام وعدم إحاطته بأقوال الفرق الغالية، أو أنه رأى أن قائليها من الشذاذ وهم قلة قليلة ولعدم شهرتهم وانتشار مقالتهم بين المسلمين، وأن الخلاف بين الفرق الكبرى في الإسلام ليست في المعبود سبحانه؛ فلم يُعَوّل على تلك الشذوذات من المقالات، فأهمل ذكرها، وليكون ذلك تقوية للاحتجاج على النصارى، ويسوغ في باب الاحتجاج التوسع في ذلك.

والمقصود بيان عقيدته بعد إسلامه والذي يتلخص مما تقدم أنه ليس من المعتزلة، والله أعلم.

منهج الحسن بن أيوب في كتابه:

تميز كلام الحسن بن أيوب بعدة مميزات تُبرز منهجه رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على النصارى فمن ذلك:

١ ـ أن دعوة النصارى إلى الإسلام من خلال كلام من عرف مذهبهم وتبحر فيه وصار من علماءهم ثم ترك هذا الدين الباطل وانتقل إلى الإسلام؛ من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على النصارى.

إذ الخبير بكتبهم ليس مثل من لا يعرفها فقد يظن ظان من كفرة النصارى أن في كتبهم من الحجج ما لا

يمكن دفعه، وأن علماء المسلمين لم يطلعوا عليها! فسَخَّر الله تعالى من ينبري لهم ويدحض باطلهم ويكشف عن ضلالاتهم، وهذا يذكر بسبب إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه فإنه أسلم عن بصيرة وعلم، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفاً**»، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد**»، قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنك رسول الله، قال: يا رسولَ اللهِ، إن اليهود قوم بُهْت، فاسألهم عنِّي قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: «**أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟!**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟!**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد

عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقصوه، قال: هذا كنتُ أخاف يا رسولَ الله[1].

ولقد نفع الله المسلمين بعبد الله بن سلام رضي الله عنه فإنه فضح كذب اليهود وبين افتراءهم على الله تعالى، حيث جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما تجدون في التوراة في شأن الزنا؟»** فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم.. فأتوا بالتوراة فنشروها، فجعل أحدهم يده على آية الرجم ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك.. فرفعها فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد! فيها آية الرجم! فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة.

وهكذا نرى الحسن بن أيوب رحمه الله يرد كذب النصارى ويبين ضلالاتهم من كتبهم، ونفع الله بكلامه وصار بسببه خير كثير، فجزاه الله خير الجزاء وغفر له.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

ولقد صار مسلك هؤلاء العلماء الناصحين حجة على أهل الباطل، والحمد لله رب العالمين، وصار من البراهين التي يستفيد منها أهل العلم، يقول ابن تيمية: (ومن أخبرِ الناس بمقالاتهم مَن كان من علمائهم وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم؛ كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الإسلام)[(١)]، وهذا مما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠][(٢)].

٢ ـ تميز كتاب الحسن بن أيوب بذكر سبب إسلامه وما حمله على ترك دين النصارى، فقد بين أنه لم يحمله على ذلك طمع ولا دنيا ولا رئاسة ولا غير ذلك، بل الحامل له التجرد للحق والصدق في طلبه (فلم يكن إسلامه إذاً طمعاً في مال أو في جاه، وإنما كان ناتجاً عن عدم اقتناع بالدين الذي نشأ عليه فاعتنق الإسلام لأنه وجد فيه ضالته)[(٣)].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٨٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير سورة الأحقاف (٧/ ٢٦١).
(٣) كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص (١٤٨).

يقول الحسن بن أيوب لأخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه: (أُعلِمُك ـ أرشدك الله ـ أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول به من أكثر من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه في المقالة من «فساد التوحيد لله عز وجل بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم وغيرها» مما تضمنته شريعة النصارى، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير ذلك، وكنت إذا تبحرته وأَجَلْتُ الفكر فيه بَانَ لي عُوارُه، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي مَنَّ الله عليَّ به وجدت «أصوله ثابتة وفروعه مستقيمة وشرائعه جميلة». . .)[1].

ويؤكد أنه من المطلعين على كتب النصارى كلها فيقول: (ويعرض مع ذلك الفكر في إمعان النظر، والازدياد في البصيرة، فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته، ولا شيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته)[2].

ويقول: (وكان يحملني إِلْفُ ديني، وطول المدة

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٨٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٩٠).

والعهد عليه، والاجتماع مع الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأقارب والإخوان، والجيران وأهل المودات.. على التسويف بالعزم، والتلبث على إبرام الأمر)[١].

ثم يذكر دخوله في الإسلام فيقول: (فلما لم أجد للحق مدفعاً، ولا للشك فيه موضعاً، ولا للأناة والتلبث وجهاً.. خرجت مهاجراً إلى الله عز وجل بنفسي، هارباً بديني، عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل، فأظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة، وسريرة صادقة، ويقين ثابت، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وإياه تعالى نسأل ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة.. إنه هو الوهاب)[٢].

٣ ـ استفاد من الحسن بن أيوب رحمه الله من جاء بعده ونقل عنه عدد من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الجواب الصحيح، ومنهم القاضي صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي في كتابه تخجيل من حرف

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٩٠).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٩٠ ـ ٩١).

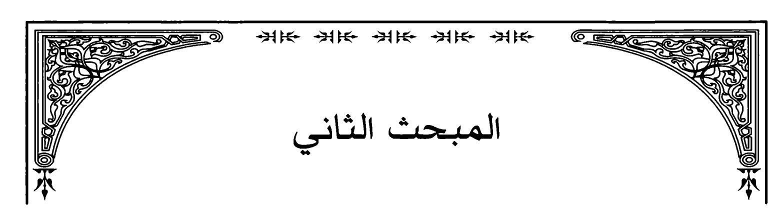
التوراة والإنجيل، وقال المحقق للكتاب الشيخ الدكتور محمود قدح: (إن كلام المؤلِّف في الردّ على استدلال النصارى على ألوهية المسيح بقوله: «أنا قبل أن يكون إبراهيم»، مقتبس من كلام الحسن بن أيوب ـ وقد كان نصرانياً ثم أسلم ـ في الرّدّ على النصارى، وكتابه مفقود، إلّا أن الإمام ابن تيمية قد نقل أغلب كتابه في الجواب الصحيح. . .)(١).

وكذلك أشار محقق كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل الشيخ الدكتور محمود قدح أن صالح القاضي الهاشمي في كتابه التخجيل قد استفاد من الحسن بن أيوب؛ فيقول المحقق بعد تعليقه على عبارة نقلها صاحب الكتاب: (لم أجد نص هذه العبارة في نسخة الأناجيل التي بين يدي، وقد ذكر هذا النص الحسن بن أيوب في كتابه: الرد على النصارى. . .)(٢).



(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٣١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٣٠).



المبحث الثاني

بيان المسالك العقدية للاحتجاج على النصارى التي سلكها الحسن بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذه المسالك تظهر من خلال التأمل في طريقته وأسلوبه في الحجاج والرد على النصارى، فمن ذلك:

١ ـ حسن استفتاحه في طريقة حكايته لأقوال النصارى وما بينها من اختلاف واتفاق ورد الأقوال إلى مآخذها وبيان تشابهها، فقد ذكر الحسن بن أيوب أربع طوائف هي الأريوسية والنسطورية واليعقوبية والملكانية، وقد بين أن الطائفة الأريوسية(١) قريبة إلى الحق مخالفة

(١) نسبة إلى أريوس وأتباعه وقد خالفوا طوائف النصارى فأنكروا ألوهية المسيح واعتقدوا أنه مخلوق وأنه ليس بإله ولا ربّ غير أن له سلطاناً على السماء، وأنه قد قُتل وصُلب. واتّفق النصارى بنيقية على لعن أريوس والتبري منه وبسببه عقدوا الأمانة. الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٣)، والفصل، لابن حزم (٢/ ٧٢)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٤٩٩).

لبعضه في جحود نبوة نبينا محمد ﷺ ودفع ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، فيقول: (ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صِنفاً منهم يُعرفون بالأريوسية، يجردون توحيد الله، ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى، من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح، مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه، فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق مخالفة لبعضه، في جحود نبوة محمد ودفع ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة)[١].

ومن حكمة الحسن بن أيوب أنه بدأ بذكر هذه الطائفة الأريويسية وهي طائفة تؤمن بأن عيسى عبدٌ مخلوق! فالنصراني إذا علم أن من طوائف النصارى من يؤمن بعبودية عيسى عليه السلام وأنه ليس ابناً لله تعالى وليس الله تعالى ثالث ثلاثة، وهذا يخالف طريقة عامة الطوائف النصرانية علم أن القول بالتثليث وبنوة عيسى عليه السلام ليست من لوازم النصرانية فأورث لدى القارئ من النصارى التفكير والبحث، فهو من الاحتجاج عليهم بما يوجد عند بعض طوائفهم.

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٩١).

فهذا استفتاح مهم وتنبيه مفيد لمن أراد الله هدايته من النصارى.

ومن حسن طريقته أنه ذكر بعد طائفة الأريوسية الطائفة اليعقوبية وهي على النقيض تماماً وعلى الغلو الشنيع، وهذ مما يكون سبباً في تنبيه العاقل على ضلالات النصارى.

وبين أن ما تنكره النسطورية من قول اليعقوبية والملكانية تقول به النسطورية أيضاً(١)!

---

(١) **الطائفة اليعقوبية**: دعواهم أن المسيح له طبيعتان من ناسوت ولاهوت وتركبتا وصارتا شيئاً واحداً، وهذا الشيء الواحد صار إلهاً واحداً وإنساناً وشخصاً واحداً وطبيعة واحدة من طبيعتين، وأما الطائفة الْمَلْكانيّة وهم الروم وأكثر النصارى، ودعواهم أن الابن الأزلي هو الله الكلمة تجسد من مريم وصار إنساناً بالنفس والجسد وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه، وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان لكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة مثل إبراهيم وداود، والمسيح مات والله لم يمت، وأما الطائفة النسطورية: فتعتقد أن المسيح شخصين وطبيعتين لهما مشيئة واحدة وطبيعة اللاهوت غير طبيعة الناسوت، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، والناسوت لا يقبل، وكان المسيح بتلك إلهاً وإنساناً! ومريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته. ومعنى أن المسيح له طبيعتان من ناسوت ولاهوت؛ أي: إحداهما بشرية، وأخرى إلهيَّة؛ =

ونبه أن سائر الملل النصرانية تشهد بالكفر على دعوى اليعقوبية أن الله وُلِدَ وتألَّم وصُلِبَ ومات! تعالى الله عن ذلك، وأن المَلْكانية حادوا عن التصريح بذلك إلى ما هو دونه، وهم يعودون إلى قول اليعقوبية تماماً.

كان من النصارى في أول افتراقهم من يتبع المذهب القائل بأنّ المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين لاهوتية وناسوتية ـ ومشيئة واحدة. ثم افترق النصارى إلى ملكية ويعقوبية. وقد اشتهر تسمية أتباع المذهب باليعقوبيين نسبة إلى يعقوب البرادعي، وقد أخذت بهذا المذهب الكنائس التي سمت نفسها الأرثوذكسية في مصر والحبشة، وفي أرمينيا من بلاد روسيا[١].

واليعقوبية يزعمون أن مريم ولدت الله ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وأنه صُلِبَ متجسداً وسُمِّر ومات ودُفن ثم صعد إلى السماء.

= أي: إنَّ المسيح عليه السلام يُعَدُّ بَشراً من جهة أمّه مريم عليها السلام وإلهاً من جهة أبيه، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً، الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦)، الفصل، لابن حزم (١/ ٤٨ ـ ٥٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ص١٣٠ ـ ١٣٢)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٧٦ ـ ٤٩٢).

(١) خطط المقريزي (٢/ ٤٨٨)، موجز تاريخ المسيحية ص (٣١٨ ـ ٣٢٣).

وأما الْمَلَكية أو الْمَلْكانية سُمُّوا بذلك نسبة إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى وهو الملك مرقيانوس إمبراطور الروم وعقيدتهم أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وظلّت الطوائف القائلة بمذهب الملكية (بالطبيعتين والمشيئتين) متّفقة في آرائها ثم انفصلوا إلى الكنيسة الشرقية تسمى بـ: كنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأكثرهم في الشرق باليونان وتركيا وروسيا، وغيرها، وإلى الكنسية الغربية اللاتينية فتسمى بـ: الكنيسة البطرسية ـ نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين ـ الكاثوليكية نسبة إلى كاثوليك (Catholics) وهي كلمة يونانية ومعناها العالمي أو العام، ويرأسها البابا بالفاتيكان في روما. وينتشر أتباعها في معظم بلاد العالم لما لها من النفوذ والمال، ثم حدث انشقاق آخر بداخل الكنيسة الكاثوليكية عندما ظهر دعاة الإصلاح الكنسي في أوائل القرن (١٦م) بتخليص الكنيسة من مظاهر الفساد. ومن أبرز هؤلاء الدعاة: مارتن لوثر الألماني ت: ١٥٤٦م الموافق ٩٥٢هـ تقريباً، وغيره من الذين احتجوا على فساد الكنيسة، فسُمِّي مذهبهم بـ: (البروتستانتية)؛ أي: المحتجّين، وقد سموا أنفسهم بـ: (الإنجيليين) على كنيستهم (الكنيسة الإنجيلية) لدعواهم أنهم يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الحاجة إلى

البابوات، وينتشر أتباعهم في ألمانيا وإنجلترا وأمريكا الشمالية وغيرها[١].

وأما النسطورية: فنسبة إلى نسطوريوس من عقائدهم أن مريم أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ولذلك كان إثبات أحدهما الإنسان الذي هو مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإله، ويقال له: الإله وابن الإله، ليس على الحقيقة ولكن على المجاز.

وكان لأتباع النسطورية تأثير بالغ في ظهور الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وخصوصاً الغلاة منها التي ظهرت في المشرق، قد تأثرت الشيعة بعقائدهم وخاصة حلول اللاهوت في الإمام أو أن الإمام له طبيعة إلهية[٢]. وكان لهم شأن خطير في ترجمة كتب اليونان وخاصة كتب الفلسفة التي أفسدت عقائد المسلمين وسرَّبت إليهم الأفكار المنحرفة التي تأثرت بها فرقة المعتزلة تأثراً كبيراً

---

(١) موجز تاريخ المسيحية (ص٣١٣ ـ ٣١٨)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٥)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٧٦ ـ ٤٩٢)، ومحاضرات في النصرانية، لأبي زهرة (ص١٥٧ ـ ١٥٩).

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ٥٣).

وخاصة في تحكيم العقل والقول بنفي القدر ونحوه، وأشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيذكر: (أن النصارى عَلَى مَا حَكَى عَنْهُمُ الْمُتَكَلِّمُونَ كَابْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ أَوْ غَيْرِهِ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ... فَقَوْلُهُمْ فِي هَذَا كَقَوْلِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا يَكُونُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ خَاطَبَهُمْ مُتَكَلِّمُو الْجَهْمِيَّةِ مِنَ النَّسْطُورِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَمِمَّنْ تَفَلْسَفَ مِنْهُمْ عَلَى مَذْهَبِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ، وَإِلَّا فَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي النَّصَارَى مُثْبِتَةً لِلصِّفَاتِ، بَلْ غَالِيَةً فِي ذَلِكَ...)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (واعلم أن من الناس من يزعم أن هذه الأقوال الثلاثة التي ذكرها الله ـ تعالى ـ عن النصارى هي قول الأصناف الثلاثة: «اليعقوبية» ـ وهم شرهم ـ وهم السودان من الحبشة والقبط. ثم «الملكية» وهم أهل الشمال من الشام والروم. ثم «النسطورية» وهم نشؤوا في دولة الإسلام في زمن المأمون وهم قليل...)، ثم بين أن الذي قاله هؤلاء ليس بشيء، واحتج لذلك بأن الله أخبر أن النصارى يقولون: إنه ثالث ثلاثة، وأنهم

---

(١) التسعينية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٨٦٦).

يقولون: إنه الله، وأنهم يقولون: إنه ابن الله. وقال لهم: لا تقولوا ثلاثة. مع إخباره أن النصارى افترقوا، وألقى بينهم العداوة والبغضاء بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤]. وقد ذكر هذا إخباراً بتفرقهم إلى هذه الأصناف الثلاثة وغير ذلك. وقد أخبر ـ سبحانه ـ عقب قولهم: ثالث ثلاثة بما يقتضي أن هؤلاء اتخذوا له ولداً، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ [النساء: ١٧١]. ثم بين أن كل آية مما ذكره الله في أقوالهم تعمُّ جميعَ طوائفهم، وتعمُّ ـ أيضاً ـ قولهم بتثليث الأقانيم، والاتحاد والحلول، فتعمُّ أصنافَهم وأصنافَ كفرِهم، ليس يختص كل آية بصنف، كما قال من يزعم ذلك. ولا تختص آية بتثليث الأقانيم، وآية بالحلول والاتحاد، بل هو ـ سبحانه ـ ذكر في كل آية كفرهم المشترك، ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات، وكل صفة تستلزم الأخرى، إنهم يقولون: المسيح هو الله، ويقولون: هو ابن الله، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة، حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، هذا بالاتحاد، وهذا بالحلول. ويبين بذلك إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير

الأقانيم، وذلك يتضمن جميع كفر النصارى، وذلك أنهم يقولون: الإله جوهر واحد له ثلاثة أقانيم. وهذه الأقانيم يجعلونها تارةً جواهر وأشخاصاً وتارةً صفات وخواص، فيقولون: الوجود الذي هو الأب، والابن الذي هو العلم، وروح القدس التي هي الحياة عند متقدميهم، والقدرة عند متأخريهم، لكن يقولون ـ أيضاً ـ: إن الوجود الذي هو الأب جوهر، والكلمة التي هي الابن جوهر، وروح القدس ـ أيضاً ـ جوهر، وأن المتحد بالمسيح هو جوهر الكلمة دون جوهر الأب وروح القدس، وهذا مما لا نزاع بينهم فيه... فالقرآن يتناول جميع أصناف كفرهم في هذا الباب تناولاً تاماً)[1].

٢ ـ ومن منهج الحسن بن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ: معارضة أقوال النصارى بالعقل الصريح، وذلك كثير في ثنايا كتاب الحسن بن أيوب، حيث يقول: (وإذا كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله وأن الذي ولدته مريم وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال التي تحكي النصارى أنها فعلت بالمسيح إلا عليهما، فكيف يصح لذي عقل عبادة

(١) التسعينية، لابن تيمية (٣/ ٨٤٨ ـ ٨٦٣).

مولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات)[١].

وقال أيضاً: (وقد يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إلٰه ولدته مريم وهي امرأة آدمية ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة تجري عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وخوف وأمن وتعلم وتعليم لا يتهيأ لكم أن تدعوا أنه كان منه في تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجتهم وضروراتهم وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم مخرج ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله تعالى والنبوات والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله تعالى وقد كان من غيره من الأنبياء مثلها وما هو أعلى منها فكانت مدته في ذلك أقل من ثلاث سنين ثم انقضى أمره بما يصفون أنه انقضى به وينسبونه إليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل فهل تقبل العقول ما يقولون مِنْ أنّ إلٰهاً نال عباده منه مثل ما تذكرون أنه نيل منه)[٢].

وقال: (أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة أن

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٩٩).

هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله ولو كان إلهاً لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه الملك من عند ربه ولما قال: أمرنا أن لا نجرب الله وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربط عن أمته قال: فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جداً وكثر اختلافها واشتد تناقضها واضطرابها)[١].

وقال: (فما الحجة فيما تدعونه له ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا تأويل على القول الجميل الذي تشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل عظمة الله وجلاله)[٢].

٣ ـ إظهار تناقضاتهم وبيان معارضة القول وتناقضه مع نفسه ومعارضته بما اتفقوا عليه مما يسمونه شريعة الإيمان، فهذه عدة أنواع في بيان تناقضهم وقد قررها الحسن بن أيوب ووضحها، فقال: (ثم نقول قولاً آخر قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه لا

---

(١) الجواب الصحيح (١٠٩/٤).

(٢) المرجع السابق (١٣٦/٤).

يقع في شيء منها شك ولا طعن ولا زيادة ولا نقصان وهي أصل أمر المسيح عندكم. فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل عليه السلام. والثانية: قول يحيى بن زكريا الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله. والثالثة: النداء المسموع من السماء. والرابعة: قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيى عن شأنه. والذي قال جبريل على ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشرها...)[1].

وناقشهم في دعواهم أن المسيح هو الابن وأنه ظهر من الرب، فبين لهم أن في كتبهم أيضاً أن الروح تخرج من الرب أيضاً!! قال: (ووجدناكم تقولون أن الابن إنما يسمى ابن الله وكلامه لأنه تولد من الأب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك لأن شريعة إيمانكم تقول: إن الروح أيضاً تخرج من الأب فإن كان الأمر كما تقولون فالروح أيضاً ابن لأنها تخرج عن الله تعالى وإلا فما الفرق بينهما. قال: ولم نفهم أيضاً قولكم أن الابن تجسد من روح القدس وأن روح القدس ساقه إلى البر ليمتحنه الشيطان فما كانت حاجة الابن إلى أن تكون الروح وهي في قولكم مثله تدبره وتغيره من حال إلى حال أو ما علمتم

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٠١ ـ ١٠٢).

أن الغير السابق المدبر فاعل والمسبوق المدبر مفعول به فالابن إذن دون الروح وليس مثله لأن الأزلي لا ينفك من الأزلي وهو مثله. قال: وإن كان المسيح من روح القدس كما قال جبريل الملك لأمه مريم فلم سميتموه كلمة الله وابنه ولم تسموه روحه فإنما قال لها الملك إن الذي تلدين من روح القدس والروح غير الابن ولو كان المعنى واحداً لما قالت الشريعة إنه تجسد من روح القدس وإن روح القدس ساقه إلى البر وإن روح القدس نزل عليه، ولم تثلثون به في إيمانكم فتقولون نؤمن بالأب والابن والروح القدس)[1].

قال شيخ الإسلام: (والنصارى ـ في هذا الباب ـ من أبلغ الناس تناقضاً، يقولون الشيء ويقولون بما يناقضه ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا! وأيضاً فكلّ طائفة منكم تلعن الأخرى، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسية وغيرهم من طوائف النصارى. وهم يلعنونكم. وكلّ فرقكم الثلاثة النسطورية واليعقوبية والملكية تلعن الطائفتين الأخريين. فأنتم واليعوقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلهاً، ويقولون: إن مريم ولدت إنساناً تاماً إلهاً تاماً.

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١١١).

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال: إنهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة، ومن قال: إن اللاهوت مولود من مريم، ومع قولكم المسيح الذي ولدته مريم مات وصلب. وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون ـ ما يطول وصفه ـ فما منكم من أحد إلّا وهو لاعن ملعون. فلعنكم من قال بهذه المقولات لا يوجب أنكم على الحقّ بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم كطائفة من طوائفكم. والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً. والطوائف الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة فهم بعض طوائفهم، وإلّا فهم طوائف كثيرون مختلفون في التثليث والاتّحاد)[(١)]، ومن المعلوم أن بيان تناقض الخصم من أقوى المسالك العقلية في إبطال دعواه، وفساد حجته.

٤ ـ يوضح الحسن بن أيوب أن التمويه بالألفاظ المجملة لا يغير من الحقائق شيئاً. فيقول: (وقد رجع المعنى إلى قول اليعقوبية إلا أنهم اختاروا لذلك ألفاظاً زوقوها وقدروا بها التمويه على السامع ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية لأن المتحد بالشيء هو الممازج

(١) الجواب الصحيح (٣/ ١٧٩).

له والمجتمع معه حتى صار مازجه وهو شيئاً واحداً ثم أكدوا القول بإقرارهم أن الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه فما لم يفارق الشيء هل هو إلا يجري مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع وخير وشر وحاجة وغنى)[١].

٥ ـ رد الحسن بن أيوب على النصوص المعظمة عند النصارى بدحض التأويلات الفاسدة للنصارى لبعض نصوص كتبهم بالمنقول الصريح من تلك الكتب نفسها، فيقول: (فإن تأولتم أن ذلك حل بالجسم وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به أفليس قد وقع بجسم توحدت اللاهوتية به وحلت الروح فيه وقد أنجبه الله على ما تزعمون وتصفون لخلاص الخلق وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب)[٢]. ومن ذلك أنه رد التأويل الفاسد بنصوص نقلها من كتبهم (قال: فهذا القول يزيل تأويل من لعله يتأول في الفصل الأول أنه أراد بقوله الناسوت لأنه يقول أن الله جعله ربّاً ومسيحاً والمجعول مخلوق مفعول)[٣].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٩٦).
(٢) المرجع السابق (٤/ ١٠٠).
(٣) المرجع السابق (٤/ ١٣٣).

٦ ـ قام الحسن بن أيوب ببيان المعنى الصحيح للألفاظ التي حرفوا معانيها فوضح أن لفظ الابن الموصوف به عيسى بإقرار جميع النصارى ليس مختصاً بعيسى، وبين أن المراد بالتسمية به؛ أي: على جهة الاصطفاء والمحبة[1]، وكذلك فعل في لفظ حلول الروح عليه؛ أي: على جهة ما ورد في النصوص المماثلة، وهكذا قرر في مسألة النداء الذي سمعه يحيى ابن زكريا[2]، وفي تقرير مهم يلخص هذا الموضوع وأن ورود الابن في كتبهم يراد به الناسوت لا غير، قال: (وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها هي الأسباب التي تتعلقون بها في نحلتكم المسيح الربوبية وإضافتكم إليه الإلٰهية وقد وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها قولكم وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه وأوجدناكم بطول ما تنتحلونه وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم التوراة والزبور والأنبياء والإنجيل فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم. . .) ثم نقل بعض ما في كتبهم عن المسيح عليه السلام ثم

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

قال: (وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله بل ما علَّمه الله إياه وأطلعه على معرفته وجعله له وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية وأنه هو الله ومن جوهر أبيه تعالى الله الخالق لكل شيء علواً كبيراً ولو كان إلهاً كما يقولون لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء وسرائر الأمور وعلانيتها إذا كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت دون اللاهوت)[١].

(وقال الحسن بن أيوب أيضاً: إنا كلما تأملنا معكم في نسبة المسيح عليه السلام إلى الإلٰهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون إليها وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم ازددنا بصيرة في استحالة ذلك ووضعكم له من القول ما لا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم، ووجدنا أبين ما جاء في المسيح وصحة أمره فيما أتى به ما قال متى التلميذ: إنه لما جاء يسوع إلى أرض قيسارية سأل تلاميذه فقال: ماذا يقول الناس في أني ابن البشر فقالوا: منهم من يقول إنك يوحنا المعمداني وآخرون يقولون: إنك أرميا أو أحد الأنبياء فقال لهم

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

يسوع: فأنتم ماذا تقولون فأجابه سمعان الصفا وهو رئيسهم فقال: أنت المسيح ابن الله الحق فأجابه المسيح وقال: طوبى لك يا سمعان ابن يونان إنه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم ولكن أبي الذي في السماء[١]، وحكى لوقا في إنجيله هذا الخبر فقال: إن سمعان أجابه فقال: أنت مسيح الله[٢] ولم يقل ابن الله فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه وأرضاه ما قال. وقوله إنه لم ينطق بذلك إلا ما أوحاه الله في قلبه ولم ندفعكم قط عن أنه مسيح الله ولا عن أنه **كما تقولون في لغتكم أنه ابن الله بالرحمة والصفوة** مع هذا الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلين وقد قال مثل ذلك فيكم جميعاً (إن الله إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم)[٣] فنعمل على احتجاجكم بأنه ليس مثلكم في معنى النبوة ونجعله مثل من **سمى في الكتب ابناً على جهة الاصطفاء والمحبة مثل إسرائيل وغيره** بل قد خص إسرائيل بأن قال عز وجل: (أنت ابني بكري)[٤] **وهذا كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب وليست**

---

(١) إنجيل متى الإصحاح السادس عشر، والعهد الجديد (ص٣٠).
(٢) إنجيل لوقا الإصحاح التاسع، والعهد الجديد (ص١٠٨).
(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح العشرون، والعهد الجديد (ص١٨٦).
(٤) سفر الخروج الإصحاح الرابع، والعهد القديم (ص٩٢، ٨٣٤).

بموجبة الإلٰهية إذ كان قد شاركه في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه)[١].

ولما ذكر ما في كتبهم أن المسيح احتاج إلى تكميل أمره بمعمودية يحيى فقال: (فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب!)[٢]، ونقل في مواضع أخرى من كتابه شواهد على ما نقل في كتبهم عن عيسى عليه السلام تؤكد ما تقدم ذكره[٣].

(ومنها ما يحكون عن المسيح أنه قال: (أنا بأبي) وقد فسر المسيح عليه السلام ذلك وكشفه قال يوحنا في إنجيله: (إن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه وقال: يا أيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد وكما أنك أرسلتني إلى العالم وكذلك أرسلهم أنا أيضاً)، ثم قال بعد هذا أيضاً: (إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ومنحتني ليكونوا أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد فأنا بهم وأنت بي). قال: (هو معنى ذلك أنه قال: أنت معي وأنت لي، كما

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٦٤ ـ ١٦٦).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٠٥).

(٣) المرجع السابق (٤/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، و(٤/ ١٢٨ ـ ١٣١).

أنا مع تلاميذي ولهم)[١] أي: معية التوفيق والتسديد.

وعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الموضع فقال: (أو أراد أنك بي هديت الخلق وعلمتهم وأنا أهديهم وأعلمهم والباء للسببية فإن الله برسله هدى عباده وعلمهم، والرسل علموا الغائبين عنهم بالحاضرين الذين بلغوا عنهم، وقوله: (ليكونوا شيئاً واحداً) أراد به: اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم، وهذا مفسر وقد قال: (ليكونوا هم شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد) فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولربه. وهذا يبين أن قوله: (كما أنا شيء واحد)؛ أي: أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك، لم يرد بذلك اتحاد ذاته به، كما لم يرد أن تتحد ذوات بعضهم ببعض؛ فإنه طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه).

٧ ـ ذكر الحسن بن أيوب قاعدة جليلة وهي أن اعتراف المسيح عليه السلام في كلامه الذي سبق ذكر بعضه يؤكد كل ما يصحح به أنه عبد مرسل مربوب مبعوث مأمور وهذا ما زال عيسى عليه السلام يقوله، قال الحسن: (وليس يستنكف المسيح عليه السلام من الاعتراف بذلك عن الاعتراف

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٧).

بذلك في كل كلامه، وما زال يقول إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم، وكل ما يُصَحّح به أنه عبد مرسل مربوب مبعوث مأمور يؤدي ما سمع ويفعل ما حد له)[١].

٨ ـ احتج الحسن بن أيوب في مواضع من كتابه بالمعقول من اللغة، فنقل عن كتبهم ما ورد: (إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته)[٢] فقال: (فقد علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق)[٣]. وقال: (ونسألكم أيضاً عن واحدة لم سميتم الأب أباً والابن ابناً فإنه إن كان وجب للأب اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضاً يستحق هذا الاسم بعينه إذ كان قديماً مثله وإن كان الأب عالماً عزيزاً فهو أيضاً عالم عزيز تشهد شريعة الإيمان له بذلك في قولها إنه خلق الخلائق كلها وأتقنت على يده وأنه نزل لخلاصكم ومن قدر على ذلك لم يكن إلا عالماً عزيزاً فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الأبوة والبنوة وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول ولد من أبيه وإلا فإن كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة فبأي

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٠٥).
(٢) إنجيل متى الإصحاح الخامس (١٦)، وإنجيل لوقا الإصحاح الثالث (٢١ ـ ٢٢)، والعهد الجديد (ص٦، ٥٩).
(٣) الجواب الصحيح (٤/ ١٠٥).

فضل وسلطان للأب عليه أمره ونهاه فصار الأب باعثاً والابن مبعوثاً والأب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً)[١]. قال: (وقلتم: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم وليس بمصنوع فليس يخلو الأب من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود فإن كان لم يزل موجوداً فإن الأب لم يلد شيئاً وإن كان غير موجود وإنما هو حادث لم يكن فهو مخلوق كما قلنا)[٢].

٩ ـ الاحتجاج عليهم بضرب مثل عجيب ذكر فيه حالهم في عدد من المقولات عندهم، فقال: (ومَثَلُ الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مَثَلُ مَنْ آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة!! لأن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول إنه مربوب مبعوث، ويقول جبريل إنه مكرم مصطفى، وأن أباه داود، وأن الله جعله ملكاً على آل يعقوب، وينادي منادٍ من السماء بمثل ذلك، ويشهد يحيى بن زكريا على مثله، وتقولون بل هو خالق أزلي إلا أنه يستر نفسه!! ويقول المسيح وغيره ممن سمينا أنه معطى وأن الله معطيه، وتقولون بل رازق النعم وواهبها!! ويقول إن الله أرسله، وتقولون: بل هو الذي

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٣).
(٢) المرجع السابق (٤/ ١٧٥).

نزل لخلاصنا وتعتقدون سبب نزوله من السماء أنه أراد أن يخلصكم ويحتمل الخطيئة ويربط الشيطان، فقد وجدنا الخلاص لم يقع والخطيئة قائمة لم تزل!! والشيطان أعتى ما كان يُربط بل سلطه الله عليه على ما تقولون فحصره في الجبل أربعين يوماً يمتحنه، وقال له في بعض أحواله معه: إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزاً، فقال له المسيح مجيباً له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز بل بكل كلمة تخرج من الله، ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس وأقامه على قرنة الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فارم بنفسك من هاهنا فإنه مكتوب إن الملائكة توكل بك لئلا تعثر رجلك بالحجر، قال يسوع: ومكتوب أيضاً لا تجرِّب الربَّ إلهَك، ثم ساقه إلى جبل عال وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها وقال له: إن خررت على وجهك ساجداً لي جعلت هذا الذي ترى كله لك قال له المسيح: اغرب أيها الشيطان فإنه مكتوب اسجد للرب إلهك ولا تعبد شيئاً سواه، ثم بعث الله ﷻ ملكاً اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر وأطلق السبيل للمسيح[١]، وقال: أفلا يعلم من كان في عقله

(١) إنجيل متى الإصحاح الرابع، العهد الجديد (ص٦).

أدنى مسكة أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إلٰه ولو كان إلهاً لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه الملك من عند ربه ولما قال: (أمرنا أن لا نجرب الله وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه) وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربط عن أمته! قال: فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جداً وكثر اختلافها واشتد تناقضها واضطرابها)[1].

١٠ ـ الاحتجاج عليهم بترك ما في كتبهم واتباع شريعة باطلة فيقول الحسن بن أيوب رحمه الله: (فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح ـ وهو أصلكم الذي وقع عليه بناؤكم ـ وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها!! ومَثَلُ الذين عَقَدوا هذه الشريعة لكم مَثَلُ مَنْ آمن بنُبوّة رجل ينتفي من النُبوّة!!...)[2]، وقال أيضاً: (فهذا قوله وأقوال تلاميذه قد تركتموها، وعقدتم على بدع ابتدعها لكم أَوّلوكُم تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله جل ثناؤه)[3].

١١ ـ الاحتجاج عليهم بما جرى بينهم من ردود فيما بينهم، خصوصاً تناقض النسطورية في ردهم على اليعقوبية

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٠٩).
(٢) المرجع السابق(٤/ ١٠٧).
(٣) المرجع السابق (٤/ ١٣٥).

ثم وقوعهم في نفس ما أنكروه عليهم! فيقول: (وصدقتم بشريعة الإيمان وكفّرتم مَنْ خالفها، ثم لم تلبثوا أن خلعتموها وانسلختم منها، وقلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان، جوهر قديم وجوهر حديث، ولكل جوهر أقنوم على حياله، وإن الله جوهر قديم يقوم بمعنيين، فهو واحد يقوم بثلاثة معانٍ وثلاثة لها معنى واحد كالشمس التي هي شيء واحد ولها ثلاثة معانٍ: القرص، والحر، والنور؛ فالمسيح هو الله وهو مبعوث غير أنه ليس يعبد!! فكان معنى قولكم هذا أن المسيح مولود لكنه ليس مفعولاً به، وهو مبعوث مرسل، لكنكم تستحيون أن تسموه رسولاً إذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الأشياء.

وأقبلتم على الملكانية واليعقوبية بالتكفير واللعن لقولهم: إن الله والمسيح شيء واحد، ثم لم تلبثوا أن قدّمتم المسيح على الله تبارك وتعالى! وبدأتم به في التمجيد!! ورفعتم إليه تهاليلكم ورغائبكم في أوقات القرابين خاصة وهي أجلُّ صلواتكم وأفضل محافلكم عندكم؛ فإنه يقوم الإمام منكم على المذبح من مذابحكم وأهله مرعوبون فتتوقعون نزول روح القدس بزعمكم من السماء بدعائه، فيفتح دعاءه، ويقول: ليتم علينا وعليكم

نعمة يسوع المسيح، ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهرين، ثم يختم صلاته بمثل ذلك!! فهذا تصريح بالشرك وتصغير لعظمة الله وعزته أن جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه وهو معطى ومخول من عند الله على قولكم! وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة!!.

قال: (ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم إن مريم ولدت اللهَ عزَّ اللهُ وجلَّ عن ذلك)، ثم نقل عن الشريعة ما يتضمن الرد عليهم فقال: (وفي شريعة الإيمان التي بيناها المجتمع عليها أن المسيح إله حق وأنه ولد من مريم فما معنى المنافرة؟ وما الفرق؟ وما تنكرون من قولهم إن المقتول المصلوب هو الله؟! عَزَّ اللهُ وجلَّ عن ذلك، وشريعة إيمانكم تقول: (نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وحاله الذي ولد من مريم وتألم وصلب على عهد الملك بيلاطس النبطي ودفن وقام في اليوم الثالث) أليس هذا إقرارا بمثل قولهم!! فتدبروا هذا القول يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هو الله؛ فإن مريم عندكم ولدت الله!!.

وإن قلتم: إنه إنسان فإن مريم ولدت إنساناً! وبطلت الشريعة! فأي القولين اخترتموه، ففيه نقض دينكم!)، ثم بين ردهم على الملكانية فقال: (ثم عبتم على الملكانية قولهم: (إنه ليس للمسيح إلا أقنوماً واحداً لأنه صار مع الأزلي الخالق شيئاً واحداً لا فرق بينهما) وقلتم بأن له أقنومين لكل جوهر أقنوم على حياله، ثم لم تلبثوا أن رجعتم إلى مثل قولهم! فقلتم: إن المسيح وإن كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً فإنه هيكل لابن الله الأزلي ونحن لا نفرق بينهما، فإذا كان الأمر عندكم على هذا فما تنقمون على الملكية؟!! وما معنى الافتراق؟!! وقد رجعتم في الاتحاد إلى مثل قولهم إن هذا الأمر تحار فيه الأفهام!!.

فإن كانت الشريعة بمعنى الأمانة عندكم حقّاً؛ فالقول ما قال يعقوب، وذلك أنا إذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً وانحدرنا فيها إلى آخرها؛ وجدنا القوم الذين ألقوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع، وهو إلٰه حق من إلٰه حق من جوهر أبيه، وهو الذي أتقن العوالم، وخلق كل شيء

على يده، وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب، فمن أنكر قول اليعقوبية؛ لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم ويلعن من ألفها)[١].

١٢ ـ تنبيه الحسن بن أيوب أن أصل ضلال من وضع الشريعة عندهم المسماة بالأمانة هو التمسك بالمتشابه وترك المحكم والإعراض عنه! (قال: وإذا نظر في الإنجيل وكتب بولس وغيره ممن يحتج به النصارى وجد نحواً من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح وكلها تنطق بعبودية المسيح وأنه مبعوث مربوب وأن الله اختصه بالكرامات ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم فأخذوا بذلك التأويل الفاسد وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل ويستدل على ما غاب بما حضر وعلى ما أشكل بما ظهر

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١١٣ ـ ١١٥).

فمن تلك الآيات المشكلات ما ذكرناه في كتابنا هذا وبينا معناه والحجة فيه وأنه ليس كما تأولوه)[(١)].

وقال: (وإنما أخذت تلك الطائفة؛ يعني: الذين وضعوا الأمانة بكلمات، وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل مشكلات تأولت فيها ما وقع بهواها، وتركت ما في الإنجيل من الكلام البيّن الواضح الذي يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك على نفسه وشهادة تلاميذه به عليه، فأخذت بالمشكل اليسير، وجعلت له ما أحبّتْ من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل)[(٢)].

١٣ ـ رد الحسن على النصارى التذرع بمقولة: (إن هذا الأمر تحار فيه الأفهام) أو (إن هذا لا يعرف بالعقل بل المطلوب فيه التسليم فقط) لا يرفع وجود

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١١٦).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٧٦)، وفي إبطال الأمانة وبيان فسادها. يُنظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٣)، والفصل في الملل والنحل، لابن حزم (١/ ١١٨)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للقاضي الجعفري (٢/ ٥٠٣)، والجواب الصحيح، لابن تيمية (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩)، وهداية الحياري، لابن القيم (ص٣٢٣)، ومقدمة ابن خلدون (ص٢٢٢).

التناقض في مقولاتهم[١].

لأن الإيمان بالتّثليث والتوحيد في آنٍ واحدٍ هو إيمان بغير المعقول باعتراف فهمه وإدراكه، ويقول كثير منهم تهرباً من مواجهة العقل السليم: التّثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله، وهذه حجة العاجز[٢]، والشرائع جاءت بما تحار فيه العقول، ولم تأت بما تحيله العقول، والتثليث مما تحيله العقول.

١٤ ـ أكد على وجود الكذب والافتراء من واضعي الأمانة أو الشريعة وأنهم أحق باللعن، فيقول: (وجدنا القوم الذين ألقوها لكم قد صحّحوا أن يسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع وهو إله حق من إله حق من جوهر أبيه وهو الذي أتقن العوالم وخلق كل شيء على يده وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقُتل وصُلب! فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم ويلعن من ألّفها)[٣].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١١٥).

(٢) التخجيل (١/ ٤٩٣)، والنصرانية والإسلام، لمحمّد الطهطاوي (ص١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) الجواب الصحيح (٤/ ١١٥ ـ ١١٦).

١٥ ـ أبطل الحسن بن أيوب الأمثلة والأقيسة الفاسدة التي يضربون بها المثل لتسويغ كفرياتهم، فمن عادة المشركين والكفار رد الحق بالأقيسة الفاسدة والأوهام الكاذبة، ومن ذلك أنهم يضربون الأمثلة الفاسدة ليسوغوا كفرياتهم، فالنصارى احتجوا على التثليث بالشمس فرد الحسن احتجاجهم بهذا المثل فقال: (فأما احتجاجكم بالشمس وأنها شيء واحد له ثلاثة معانٍ، وتشبيهكم ما يقولونه في الثلاثة الأقانيم بها فإن ذلك تمويه لا يصح لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس إذ كان حد الشمس جسماً مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً في وسط الأفلاك دورانا دائماً ولا يتهيأ أن يحد نورها وحرها بمثل هذه الصفة ولا يقال إن نورها أو حرها جسم مستدير مضيء مسخن دائم الدوران ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة في المسيح إنه إلٰه حق من إلٰه حق من جوهر أبيه لكان ما قلتم له مثلاً تاماً والأمر مخالف لذلك فلا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجة منكم فيه باطلة)[١].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/١١٦).

١٦ ـ إبطال بعض عقائدهم بالعقل وبالمشاهدة (الحس) وبالفطرة، والجمع بين أكثر من دليل لإبطال مذهبهم، قال: (ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموت والآثام؛ فإن العجب ليطول من هذا القول! وأعجب منه مَنْ قَبِلَه ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبحْ أنْ يعتقدَ ديانةً لله تبارك وتعالى على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول، وتنبىء به المشاهدة، ويدعو الناس إليها، فما هو ببعيد من عقد ما هو أمحل وأبطل منها لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين لأن لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة)[١]، وقال: (وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم فما الحجة فيما تدعونه له ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا تأويل على القول الجميل الذي تشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل عظمة الله وجلاله)[٢].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١١٧).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

١٧ ـ قاعدة ذكرها الحسن بن أيوب وهي: (فإذا كان التمويهُ يقع فيما يلحقه كل أحد بالمعرفة والبيان؛ فهو فيما أشكل من الأمور وفعل بالتأويلات التي تأولها أولئك المتأولون أَوْقَعُ، وإذا كنتم قد قبلتم هذا المحالَ الظاهرَ الذي لا خفاء به عن الصبيان فأنتم لما هو أعظم منه من المحال أَقْبلُ).

١٨ ـ من مسالك الحسن بن أيوب أنه يسوق بعض شبهاتهم ويجيب عنها بالإلزام الذي لا محيد لهم عنه كقوله: (فإن قلتم: إنكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ومشى على الماء وصعد إلى السماء وصيَّر الماء خمراً وكثَّر القليل! فيجب الآن أن يُنظر إلى كل من فعل من هذه الأمور فعلاً فنجعله ربّاً وإلهاً وإلا فما الفرق. فمن ذلك أن كتاب سفر الملوك يخبر أن إلياس أحيا ابن الأرملة وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية وأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً ولم يكن أحد ممن ذكرنا بإحيائه الموتى إلهاً)... (قال: فإن قلتم: إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال وإن الصنع فيها والقدرة لله ﷻ إذ كان هو الذي أجراها على أيديهم فقد صدقتم ونقول لكم أيضاً: كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من هذه الأعاجيب إذ كان الله هو الذي

أظهرها على يديه فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء وما الحجة في ذلك. قال: وإن قلتم: أن الأنبياء كانت إذا أرادت أن يظهر الله على أيديهم آية تضرعت إلى الله ودعته وأقرت له بالربوبية وشهدت على أنفسها بالعبودية قيل لكم: وكذلك سبيل المسيح سبيل سائر الأنبياء، قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويُقرَّ له بالعبودية)[1].

١٩ ـ توجيه السؤال لهم بطريقة الاستفهام الإنكاري فيقول: (فما الحجة فيما تدعونه له! ومن أي جهة أخذتم ذلك؟! واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا تأويل على القول الجميل الذي تشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل عظمة الله وجلاله)[2].

ومثله قوله: (فما يكون يا هؤلاء أفصح وأبين وأوضح من اجتماع هذه الشواهد لكم في كتبكم! ما رضيتم بقوله في نفسه! ولا بقول تلامذته فيه! ولا بقول من تنبأ عليه من الأنبياء! ولا قول جموعه الذين تولوه لمن سألهم من مخالفيهم عنه! وتركتم ذلك كله وأخذتم بآراء قوم تأولوا لكم على علمكم بأنهم قد اختلفوا أيضاً في

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٢٠).
(٢) المرجع السابق (٤/ ١٣٦).

الرأي فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا واتبع كلّاً منهم طائفة، قالوا بقولهم ثم سلك من بعدهم سبيل الآباء في الاقتداء بهم، فبينوا لنا حجتكم في ذلك؟! وهيهات من حجة ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه)[١].

٢٠ ـ ومما سلكه الحسن بن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ الإجابة عن شبهاتهم بإيراد السؤال ثم الجواب ثم نقضها على طريقة (فإن قلتم: . . . قلنا: . . .) وتوسع في ذلك، وهي من طرائق المتقدمين في الرد على الخصوم، ومن ذلك: (فإن قلتم: إنه يثبت للمسيح البنوة بقوله: (أبي وأبيكم) و(يا أبي) و(بعثني أبي) قلنا: فإن كان الإنجيل أنزل على هذه الألفاظ لم تبدل ولم تغير فإن اللغة قد أجازت أن يسمى الولي ابناً وقد سماكم الله جميعاً بنيه وأنتم لستم في مثل حاله.

ومن ذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لإسرائيل في التوراة: أنت ابني بكري وقال لداود في الزبور: أنت ابني وحبيبي وقال المسيح في الإنجيل للحواريين: أريد أن أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فسمى الحواريين أبناء الله وأقر بأن له إلهاً هو الله ومن كان له إله فليس بإله كما تقولون.

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٠).

فإن زعمتم أن المسيح إنما استحق الإلٰهية بأن الله سماه ابناً فنلتزم ذلك ونشهد بالإلٰهية لكل من سماه ابناً وإلا فما الفرق.

قال: فإن قلتم: إن إسرائيل وداود ونظراءهم إنما سموا أبناء الله على جهة الرحمة من الله لهم والمسيح ابن الله على الحقيقة تعالى الله عن ذلك، قلنا: يجوز لمعارض أن يعارضكم فيقول لكم: ما تنكرون أن يكون إسرائيل وداود ابني الله على الحقيقة والمسيح ابن رحمة وما الفرق...)[١].

(ووجدنا قوماً منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها ويتفرقون على مقالاتٍ شتى هم عليها وكل منهم يدعي أن الصواب في يده!! وهذا أيضاً من سوء الاختيار وذهاب القلوب عن رشدها وانصرافها عن سبيل حقها، فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه إلا أهل ملل النصرانية فقط. وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه...)[٢].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٨٠).

٢١ ـ بيان مأخذ الضلال في قول النصارى من عبادة الثلاثة الأقانيم وسببه وبيان القول الحق فيما اشتبه عليهم الأمر فيه من كتبهم وبيان الاحتمالات الواردة خلاف زعمهم وظنهم الباطل كما قال: (قول متّى التلميذ على المسيح عليه السلام أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم: اذهبوا فعمّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس، قال: وهذا كلام يحتمل معناه إن كان صحيحاً أن يكون ذهب فيه بأن يجمع هذه الألفاظ إلى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض قلتم صلاة فلان القديس تكون معك ومعنى الصلاة الدعاء واسم فلان النبي يعينك على أمورك.

وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

يقرن طاعته بنبيِّه وأولي الأمر من المسلمين أفنقول لذلك إنهم جميعاً آلهة، **قال: وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل إن لم يكن معناه ما قلناه** أو يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه إلى ما هو أعلم به فلم حكمتم بأنه ذهب إلى أن هذه الأسماء لما أضافها

إلى الله عز وجل صارت آلهة وجعلتم لها أقانيم لكل اسم أقنوم يخصه بعينه وهو شخص واحد وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله عز وجل بالتأويل الذي لا يصح)[1].

٢٢ ـ استخدام الوعظ بالتخويف والإنذار بالهلاك في مناقشة الخصم ومناظرته فالحسن بن أيوب ناقشهم بالعقل مع الوعظ والتخويف فيقول: (قال: ونجدكم تقولون في المسيح عليه السلام إنه مولود من أبيه أزلي ويجب على المدعي القول أن يثبت الحجة فيه ويعلم أنه مطالب بإيضاحها لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي لا يقع التلاعب به ولا تجترىء النفوس على ركوب الشبهات فيه **والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلاً لا حقيقة له فإنه يهلك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله** إن كان هذا الابن أزلياً على ما في شريعة إيمانكم فليس هذا بمولود وإن كان مولوداً فليس بأزلي لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له ولا آخر، ومعنى المولود أنه حادث مفعول وكل مفعول فله أول فكيفما أردتم القول فيه كان بطلان الشريعة)[2].

٢٣ ـ ما من كلام إلا وقد يتطرق لبعض معانيه

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٥٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٧٢).

الاحتمال سواء كان ظاهراً أو متَكَلّفاً، والاحتمالات منها ما يدق ويخفى ومنها ما هو قوي ظاهر، ولا يجوز الأخذ بالاحتمال الباطل إذ الأصل في الكلام الأخذ بالظاهر منه وفي هذا المقام يرد الحسن بن أيوب صرف الكلام عن ظاهره بغير موجب فيقول: (**أو يكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا يعرفه** إلا أنه قد بطل على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته ﷻ في اللاهوت بقوله في تلاميذه أنه بهم كما أن أباه به لأنه إن تأول متأول في هذا المعنى أنه ذهب في وصفه أنه أبيه وأن أباه به إلى مشاركته في اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هذا القول فيجب أن يكونوا على هذا القياس شركاء في المحل وهذا ما لا يكون ولا يجترىء على القول به أحد)[١]، (**قال: وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل إن لم يكن معناه ما قلناه** أو يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه إلى ما هو أعلم به فلم حكمتم بأنه ذهب إلى أن هذه الأسماء لما أضافها إلى الله ﷻ صارت آلهة وجعلتم لها أقانيم لكل اسم أقنوم يخصه بعينه وهو شخص واحد وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله ﷻ بالتأويل الذي لا يصح).

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٨).

٢٤ ـ الاحتجاج عليهم بتناقضهم الشديد في دينهم، واختلافهم فيه أشد الاختلاف (قال: ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وتلامذته وإنجيله وسنته وشرائعه **وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف فمنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه إلٰه ومنهم من يقول إنه ولد ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة ومنهم من يقول إنه أقنومان وطبيعتان.**

وكل منهم يكفِّر صاحبه ويقول إن الحق في يده وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله له المتأولون بما يخالف إنجيلهم وكتبهم بالهوى والعناد من بعضهم لبعض فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له ويدعون له ولداً من جهة ما أحدثوا لأنفسهم سبحانه أنَّى يكون له ولد.

قال الحسن بن أيوب: وقد بينا الحجج في بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شريعة إيمانكم ووجدنا قوماً منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا قد وجدنا أكثر الأديان

يختلف أهلها فيها ويتفرقون على مقالات شتى هم عليها وكل منهم يدعي أن الصواب في يده. وهذا أيضاً من سوء الاختيار وذهاب القلوب عن رشدها وانصرافها عن سبيل حقها. فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه إلا أهل ملل النصرانية فقط. وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه)[١].



(١) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٩).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، **أما بعد:**

فمن خلال البحث في كتاب الحسن بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يظهر أهمية دعوة النصارى إلى الإسلام ببيان الحجج الشرعية وهذا ما سلكه أهل العلم استناداً على كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وتبين من خلال هذا البحث هذه النتائج:

- أن الحسن بن أيوب من أوائل من رد على النصارى في كتابه إلى أخيه علي.
- أن الحسن بن أيوب لا يمكن الجزم بأنه من المتكلمين وبأنه من المعتزلة إذ من خلال كتابه يظهر خلاف ذلك، كما أن من ذكر ذلك احتج بكلام النديم في الفهرست وقد تبين ما فيه.
- عِظَم فائدة ردود من اهتدى من علماء النصارى لكونهم عارفين بمذهب طوائفهم على وجه التفصيل، ووقع ردودهم على طوائف النصارى أقوى.

- صدق الحسن بن أيوب في توبته وغيرته الإسلامية وقوته في الحق ظهر من خلال مقدمة كتابه.
- أن عدداً من أهل العلم استفادوا من ردود الحسن بن أيوب ونقلوا عنه.
- أن من مسالك الرد على النصارى تذكيرهم بطائفة الأريويسية التي تعتقد إثبات وحدانية الله عز وجل وأن المسيح مخلوق، وكذلك إثبات عبودية المسيح عليه الصلاة والسلام، وبيان بطلان الأمانة وتناقضها، وتفسير الألفاظ التي ضلّ فيها النصارى في كتبهم المقدسة لديهم، وبيان مواطن التحريف والتبديل والتناقض في كتبهم المقدسة لديهم، وإثبات نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم ونسخ الإسلام للشرائع السابقة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات